دورة الأنثى
وأحوالها بين الوحي والإنسان

عبدالله بن فهد الخليفي

4

- الإلحاد العاطفي
- الله يعاملنا بالفضل أم بالعدل؟
- من أين جاءت فكرة الزوجة الواحدة؟

الإلحاد العاطفي..

رأيت تغريدة لإحدى الفتيات تقول فيها :

> إن إلحاد كثير من الفتيات هو إلحادٌ عاطفي، وبما أنه إلحاد عاطفي؛ فلابد ألا تناقشها بالحجج والبراهين، لا!؛ عليك أن تذكُر لها حقوقها في الإسلام..كما هي خرجت بعاطفة فأدخلها بعاطفة!

هذه النظرية لها حضورٌ قوي وأنا نفسي كنت متأثراً بها زمنًا، لكن لم أعد مقتنعًا بها نهائيًا..لماذا؟ لأن الإنسان الذي يكون متعطشًا جدًا لـ [حقوق] معينة لدرجة أن يكفر بالله ويكفر بالدين، يبغض النبي ﷺ، يبغض الصالحين، لأجل بعض الحقوق! هذا الإنسان يعيش تعاسةً حقيقية ويظن أن سعادته تأتي من تلك الحقوق. ولهذا طلبها بشغفٍ شديدٍ لدرجة أنه ألحد أو كفر كفرًا "عاطفيًا"؛ فقط ليحصل على تلك الحقوق.

هذا الإنسان في العادة يكون تعيسًا وهذه الحقوق لو جائته كلها وعشر أضعافها سيبقى كذلك؛ لأن التعاسة أمرها متعلق بالعلاقة مع الله عز وجل لا بما تحصله في هذه الدنيا أو ما لا تحصله.

هذا الإنسان يعيش مرضًا لابد أن نستأصله من جذوره لا أن ننميه أو نتقبله ونتعايش معه. إذا أعدنا هيكلة تفكير هذا الإنسان فإنه سيدرك ما هو فيه من النعمة والخير. وهذه الإشكالية لا تكون مع الدين فقط، بل مع الأقربين ومع النفس وقد رأيتم حالات الانتحار كيف تصير

الله يعاملنا بالفضل أم بالعدل؟

الإنسان لابد أن يكون مقام الله عز وجل في قلبه عظيمًا، الله عز وجل يعاملنا بالفضل لا بالعدل. مجرد التفكير في هذا يجعلنا نستحي من الله، نستحي من أن نحاسب الله عز وجل ونحاققه.

الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، السيئة واحدة بمثلها، المصائب كفّارات ومواعظ، الصلاة مضاعفة خمسين ضعف، جعل لنا سبحانه من المغفرة والشفاعة، ملائكته يستغفرون للمؤمنين، جعل عفوه مرهونًا بالعفو عن الإساءة، دائرة المباحات أوسع من دائرة المحرمات، ومقامات كثيرة ظاهرة فيها فضله سبحانه. أسألكم بالله أليس لو الحسنة بواحدة والسيئة بواحدة هذا العدل؟ حتى في بداية الخطاب بسم الله الرحمن الرحيم، كل هذا تحبب وتألف.

ينزل ربنا إلى السماء الدنيا وهو الغني سبحانه ويقول من يستغفرني فأغفر له، من يسألني فأعطيه، الغني يتودد وأنت الفقير تعرض..!

إدراك هذه المعاني تجعلنا نستحي من الله. لو تفضل عليك إنسان وأعطاك مالاً وساعدك في أزمة أنت وقعت فيها، هذا الإنسان أنت تستحي أن تحاققه لو طلب منك شيئاً،

فما بالك برب العالمين؟! الذي ما من نعمةٍ نحن فيها إلا منه سبحانه وتعالى..

الآن سنخوض في بعض ما ذُكر في كتب الفقهاء مما يسميه الناس حقوقاً للمرأة، وأنا أسمِّيه..

[شيءٌ من فضل الله عز وجل على المرأة]

ابن أبي زيد القيرواني، العالم البربري، في كتابه "النوادر والزيادات" يَرُد على عادة كانت في زمانهم، كان البعض لا يحب أن يُعزَّى في النساء إذا متن، يعني عندهم أنت لا تعزى في زوجتك، في ابنتك إذا متن، يعزونك في أمك فقط، أما النساء الأخريات فلا. فماذا قال ابن أبي زيد؟ يقول:

"وقد قال النبي ﷺ من مات له ثلاثة من ولد ولم يذكر ذكراً أم أنثى، وقال تعالي: ﴿فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْت﴾ ، وجعل النبي ﷺ المصيبة بالزوجة الصالحة مصيبة وقد أمرنا بالاسترجاع عند المصائب، وهذا من الاستسلام لله والاحتساب وإنما المصيبة لمن حُرِم الثواب".

وجاء في البناية للبدر العيني من كتب الأحناف :" ونقل في " خلاصة الفتاوى " عن " أدب القاضي " للخصاف: شكت المرأة عند القاضي، أن الزوج يضربها، فطلبت أن يسكنها عند قوم صالحين، إن علم به زجره، وإن لم يعلم إن كان جيران صالحين أقرها فيه، لكن يسألهم إن أخبروه كما شكت زجره وإن لم يكونوا صالحين أو يميلون إليه أمره بالإسكان عند قوم صالحين"

يقول ابن عبد البر في الكافي في فقه أهل المدينة، في كتاب القضاء، "ويجعل للنساء يومًا يفردهن بالحكم فيه دون الرجال -يعني مراعاةً لعدم الاختلاط وللستر- ويقول: "ولو كان في النساء عجائز صالحات يثبتهم في بعض ما يريد كان ذلك حسن" يعني يجلب لهن عجائز صالحات يكن واسطة بينهن وبين القاضي لأن هناك أمور تستحي منها المرأة أن تقولها للقاضي مباشرةً.

عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : "لئن سلمني الله لأجعلن أرامل العراق لا يحتجن لرجلٍ بعدي!" يريد أنه سيجري لهن العطاء (المعاشات) حتى لا يحتجن لأحد، وهو يقول أرامل العراق أي أنه انتهى من باقي البلاد وظل فقط العراق!
وهذه كانت من مسؤوليات الدولة قديمًا، أنها تنفق على هؤلاء، العرب من الجاهلية كانوا يعتنون بعطية النساء أكثر من الرجال؛ أبو طالب لما مدح النبي ﷺ بما مدحه؟

وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه ثِمالُ اليتامى عصمةٌ للأرامِلِ

وروى ابن أبي الدنيا في كتابه النفقة على العيال، عن جابر بن زيد، يقول كان لجابر بن زيد بناته وكان فيهن ابنة مكفوفة فما سمعته يتمنى موتها قط، كأنه يحتسب فيها..

جاء في المدونة من كتب المالكية، عن ابن القاسم قال سمعت مالك يقول: "كان عمر بن الخطاب يقسم للنساء -يعني من الفيء- حتى إن كان ليعطيهن المسك." هذا المال العام يعني يصرف شيء مثل المعاش. ويذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء في ترجمة المزني، يقول: "وامتلأت البلاد بمختصره في الفقه وشرحه عدة من الكبار. بحيث يقال كانت البكر يكون في جهازها نسخة بمختصر المزني."

لماذا نقول هذا؟ هذا لأنه يقال لك المرأة قديما ما كنت تقرأ ما كانت تكتب وهذا خطأ بل كثير منهم كن قارئات وكاتبات وناسخات؛ هذا وهن مُخدَّرات في بيوتهن بلا اختلاط بالرجال

نعود للفقهيات، في منح الشافيات للبهوتي من فقهائنا الحنابلة، يقول: "فإن لم يكن لها مال، فذلك على ملتزمها ونفقتها من الأقارب فإن لم يكن، ففي بيت المال إن أمكن، وإلا فعلى من علم بها من المسلمين!" اه

وهذا يلخص عقيدة المسلمين تجاه النساء قديماً، أنه يلزمها الأقرب فالأقرب، فالأقرب، وإلا فبيت مال المسلمين. طيب إن قصّر الأقارب وقصرت الحكومات (بيت مال المسلمين)؟ فيجب على أي مسلم يسمع بها أن يتولاها!

كان الرجل في الجاهلية إذا طلق المرأة آذاها حتى تعطيه مالاً ليفارقها، فأنزل الله عز وجل {وإن أردتم استبدال زوجٍ مكان زوجٍ وءاتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا} وكان الرجل ينكح المرأة فيكرهها؛ لقلة حسنها ويرغب بمفارقتها، فأنزل الله عز وجل ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾، وكانت الجارية يستثقل بعض السادة إطعامها وكسوتها، ويلزمها النفقة على نفسها حتى تدخل في البغاء، أو يأمرها به صراحةً، فأنزل الله عز وجل ﴿وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

وقد مر معنا كلام الفقهاء سابقًا وهذا غيضٌ من فيض! فأين هذا من الناس الذين يدّعون أن هناك مؤامرة من الفقهاء على المرأة! يعني الفقهاء اختلفوا في كثير من الأشياء ولكن هكذا فجأة سبحان الله كلهم يتفقون على أن يتآمروا ضد المرأة؟ أساسًا هذا الفقيه غالبًا لا يصير فقيهًا إلا بعد عمرٍ طويل يعني يكون شيخًا وفي العادة عنده بنات، وفي العادة الرجل يكون أحرص على مصالح ابنته من ابنه؛ لأنه يرى أن ابنه قادرٌ على تحصيل مصالحه بنفسه أما الابنة فيراها مستضعفة فيكون أكثر حرصًا عليها.

ثم هل يعقل أن الأُمة التي أنزل الله عزوجل عليها وحيًا ثم يضلون عن بكرة أبيهم عن الحق وما يعرفون الحق إلا لما أتاهم من الكفار الذين ما جاءهم الوحي؟!!

من أين جاءت فكرة الزوجة الواحدة؟..

المنع من تعدد الزوجات هذه فكرة مشهورة جدًا عن فلاسفة اليونان على جهة احتقار النساء لا على جهة تكريمهن! أصلاً هم يعتقدون أن المرأة هذه الاتصال بها ينافي الحكمة، وأنها ضرورة تُقدّر بقدرها، فواحدة كافية! وما عدَّدوا إلا لما صارت حرب وقل عدد الرجال، فصاروا يعددون لتعويض النقص..

إذا رجعت لكتاب الطوفي المسمى بـ الانتصارات الإسلامية، تجد النصراني لما يسب النبي ﷺ أو يطعن فيه يقول: هذا رجل معدد وزوجاته كثر، كيف يكون حكيمًا وزوجاته كُثُر!

فمن مواصفات الحكيم -عندهم- أن يكون بعيدًا عن النساء! لهذا رهبانهم لا يتزوجون في النصرانية الآن -الرهبانية التي ابتدعوها- من أهم أسسها ألا يتزوج الإنسان. ولو رجعتم إلى كتب محمد زكريا الرازي [فيلسوف] تجده يذم العشق ويذم نبي الله داوود ونبي الله سليمان -وهو هنا يقلد النصارى- النصارى عندهم سليمان كفر لأنه اتبع زوجاته فأخذنه إلى الوثنية، وأن خطيئة داوود متعلقة بالنساء؛ فهم عندهم فكرة سيئة جدًا عن هذا الموضوع، موضوع النساء.

راجعوا صوتية: من أين جاءت فكرة الزوجة الواحدة

ولاية يوتا الأمريكية أكثر ٦٠ بالمائة من أهلها من طائفة المورمون النصرانية والتي يقدر عدد أهلها بأكثر من ملايين نسمة. هذه الطائفة ترى تعدد الزوجات وتمارسه رغم حظر الحكومة له ويرون ذلك معيارًا للإيمان والتميز عن الطوائف المنحرفة. وقد أعدت المذيعة (كيمبرلي تروبي) تقريرا عن تعدد الزوجات في أمريكا وأجرت مقابلة مع المحامي الأمريكي المدافع عن تعدد الزوجات ومؤسس منظمة (تعدد الزوجات المسيحية) مارك هنكل وسألته عن الأمر فقال : أولا نحن مسيحيون نحن ندرس الإنجيل ونرى أن هناك تعارضا واضحا بين ما قال الزعماء وما يقول الإنجيل صراحة عن الزواج ، إن شعار المسيحيين هو الصليب ونحن ندعم الأفراد والقساوسة الذين يدركون أن الإنجيل لا يدعم الاختراع الكاثوليكي (رجل واحد وامرأة واحدة) كمبدأ. ثم سألته عن الأثر الإيجابي لهذا الأمر فقال : إن تعدد الزوجات هو الحل الأمثل الكثير من المشاكل التي تواجه مجتمعنا الأمريكي اليوم مثل مشكلة تزايد عدد الأمهات غير المتزوجات في أمريكا والحل هو إلحاق الأمهات بعائلات متعددي الزوجات للعناية بهن وبأطفالهن ، هل سمعت العبارة التي تقول بأن كل الرجال الصالحين لم يبق منهم إنها عبارة شائعة فهناك ندرة في الرجال الصالحين ونحن بصدد الرجال الصالحين الذين يرعون ويشجعون النساء ليحققن ما يتمنين لأنفسهن . بعض النساء يفضلن البقاء بالمنزل مع الأبناء والبعض يفضلن العمل إنها مسألة اختيار وتعدد الزوجات يوفر هذا الخيار كما يعطي الحافز للرجال على النضوج بدلا من ظاهرة (الذكور الصامتون)والصبية الذين يعانون فوبيا الزواج والآباء الأطفال ويجعلهم قادرين على جذب ورعاية ومساعدة أكثر من امرأة .

راجعوا مقال: رآه الفقهاء ابتذالًا للمرأة ويرونه اليوم تحضُّرًا